الهِجرة عند زيدية اليمن

تطور المفهوم ووظائفه في القرنين التاسع والحادي عشر الميلاديين

ياسويوكي كوریاما

ترجمة: عبد الكريم الوضّاف

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2022

All rights reserved © 2022

الهجرة عند زيدية اليمن
تطَور المفهوم ووظائفه في القرنين التاسع والحادي عشر الميلاديين

ياسويوكي كورياما

ترجمة: **د. عبد الكريم الوظّاف**

مقدمة المترجم

موضوع هذا المقال هو دراسة حديثة مقارنة عن مفهوم الهِجرة لدى زيدية اليمن، وقد تم نشره في مجلة أورينت Orient، الصادرة عن جمعية دراسات الشرق الأدنى في اليابان The Society for Near Eastern Studies، وذلك في العدد رقم 44، الصادر عام 2009، من الصفحة 41-54.

والدكتور/ ياسويوكي كورياما، هو محاضر ياباني غير متفرغ في جامعة تويو، في طوكيو في اليابان.

وإني، إذ أقوم بترجمة هذا المقال، إنما جاء بحثًا عن مقالات تستحق الترجمة، ليطلّع عليها القارئ العربي، واليمين خصوصًا، رغم أن تخصصي هو في الفقه الإسلامي المقارن، خصوصًا، والدراسات الإسلامية، على وجه العموم، فإن لي اهتمام بالمذهب الزيدي ومدارسه.

وفي الأخير، فترجمتي لهذا العمل هو نتيجة لأعمال سابقة؛ أكسبتني خبرة في مجال الترجمة، خصوصًا بعد حصولي على درجة البكالوريوس في الترجمة من جامعة صنعاء، ولكن لا يزال المرء يشعر بالنقص كلما طوّر من نفسه. فإن استحقت ترجمتي الرضا، فذلك من الله، وإن كان من خطأ، فهو مني.

تنويه للقارئ:

كل ما يُوضّع بين معقوفتين [ ] في المتن أو الهامش، فهو من إضافتي، وما كان من إضافة أو تعليق للمؤلف في النصوص المقتبسة، فقد وضعته بين معقوفتين مزدوجتين [[ ]]، تمييزًا له عن إضافات أو تعليقات المترجم. وما كان من تعقيب أو توضيح، فقد وضعته في هامش، وجعلت له إشارة (*).

جاء الزيدية إلى اليمن في نهاية القرن التاسع الميلادي، وبعد ذلك انتشر تأثير الأئمة الزيدية في جميع أنحاء اليمن. إن المفهوم الذي يستحق الاهتمام، عند دراسة انتشار تأثير الأئمة الزيدية في اليمن، هو الهِجرة. وتوضح هذه الدراسة التغييرات في دلالات مصطلح هِجرة، كما هو مستخدم في المصادر الزيدية من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الميلادي. وسيتم التشكيك في الآراء التي قدمها العلماء السابقون، ولا سيما والفرد مادلونغ W. Madelung، وسيتم اقتراح فهم أكثر انسجامًا مع المواقف العامة المحيطة بالزيدية.

ومنذ أواخر القرن التاسع إلى النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، دلّت الهِجرة على الهِجرة إلى أئمة الزيدية في اليمن لغرض تقديم الدعم العسكري، والاستقرار والحصول على أراضٍ جديدة. ولكن عندما بدأت المخاوف تُثار بشأن بقاء الأئمة الزيدية نتيجة التغيرات المفاجئة في الوضع السياسي والاجتماعي في اليمن منذ النصف الأول إلى النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، تغيَّر معنى الهِجرة للدلالة على مواقع محددة للسلطة السياسية والدينية للأئمة الزيدية، وقد أخذت هذه المواقع على عاتقها مهمة الحفاظ على الرفاهية الروحية والمادية للزيدية.

مقدمة:

بشكل عام، تُشير الهِجرة، التي تعني "الهِجرة أو الحركة" باللغة العربية، إلى هجرة النبي محمد، في 24 سبتمبر 622، من مكة إلى المدينة، ويُقال إن السَنة التي حدثت فيها هِجرة النبي إلى المدينة (ابتداءً من 16 يوليو 622) كانت السَنة الأولى من التقويم الهِجري في عهد عمر بن الخطاب (حكم في الفترة 13-23هـ/644-634م)؛ لأن الهِجرة النبوية أصبحت حدثًا بالغ الأهمية؛ بدأ، بعد ذلك، توسع الإسلام.[1]

لمفهوم الهِجرة، الذي أصبح حدثًا تأريخيًا مهمًا في الإسلام وأصل اسم التقويم الإسلامي، أهميةً كبيرة، أيضًا، في التطور التأريخي للدين والسياسة والمجتمع في اليمن، الواقعة في الطرف الجنوبي الغربي من جنوب شبه الجزيرة العربية.

وكانت هناك، بالفعل، بعض الدراسات السابقة للهِجرة في تأريخ اليمن. ويمكن تقسيم التفسيرات السابقة للهِجرة إلى قسمين؛ التفسير الأول، هو: إن الهِجرة تعني مكانًا ثابتًا محميًا مِن قِبل قبائل مختلفة في اليمن،

1 وليام مونتغمري واط. «هجرة». موسوعة الإسلام. Watt, W. M. 1986: s.v. "HIDJRA," The Encyclopaedia of Islam2, Vol. 3, 366-367.

ويُعتقد أن مفهوم الهِجرة، هذا، استمر منذ عصر الجاهلية حتى يومنا هذا.[2] التفسير الثاني، هو: إن الهِجرة تعني الهِجرة أو مكانًا مُحددًا مثل مَعقل أو ملجأ آمن، لا علاقة له بالقبائل؛ لأن المكان الثابت المحمي مِن قِبل قبيلة، الذي اقترحه التفسير الأول، لم يكن موجودًا قبل القرن الثاني عشر الميلادي[3](*)، على أقرب تقدير.[4] ومع ذلك، لا يمكن القول إن التفسير الأول يستند إلى مواد تأريخية، في حين أن التفسير الثاني مدعوم من خلال عرض لحالات فردية، فحسب. ولذلك، فإن فهمنا لمفهوم الهِجرة في تأريخ اليمن لا يزال محفوفًا بالمخاطر في أحسن الأحوال.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك مشكلة في الدراسات السابقة، المذكورة أعلاه، تتمثل في أن مفهوم الهِجرة، الظاهر في المواد التأريخية المختلفة للزيدية، لم يتم فحصه بشكل كافٍ؛ فيما يتعلق بالأنشطة السياسية والاجتماعية والدينية لزيدية اليمن، على الرغم من أن هذه الدراسات السابقة فحصتْ مفهوم الهِجرة باستخدام مواد تأريخية مثل السير الذاتية للزيدية وتأريخهم.

إن الزيدية قريبون، عقائديًا وسياسيًا، من السُنَّة، وهم الأكثر اعتدالًا بين مختلف المذاهب الشيعية.[5] وقد وفد الزيدية إلى اليمن من المدينة المنورة في نهاية القرن التاسع الميلادي، ولعبوا دورًا رئيسًا في أسلمة اليمن[6](**). وبعد قدوم الإمام الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين، (حكم في الفترة 284-298هـ/897-911م) من المدينة إلى اليمن، تمركز الزيدية، سياسيًا ودينيًا، على الإمام الهادي، وبسطوا سلطتهم في جميع أنحاء اليمن. وأفترضُ أن الهِجرة كانت، علاوةً على ذلك، هي التي عجّلت بتوسع السلطة السياسية لأئمة الزيدية، وحققت اختراقًا دينيًا واجتماعيًا للزيدية.

ولقد درس مادلونغ، بالتفصيل، الهِجرة بين الزيدية منذ نهاية القرن التاسع إلى النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي على أساس مواد تأريخية مختلفة؛ تتعلق بالزيدية في اليمن. ويمكن القول إن بحثه التجريبي، للغاية، «أصول الهِجرة اليمنية»، هو دراسة مهمة؛ لا ينبغي أن يُشير إليها المهتمون بالهِجرة، فحسب، ولكن، أيضًا، أولئك الذين يدرسون تأريخ الزيدية في اليمن، بشكل عام. ومع ذلك، فإن بحثه قد

---

2 روبرت بيرترام سيرجنت. صنعاء الهجرة «المحمية»..Serjeant, R. B. 1983: "San'a' the 'Protected' Hijrah," in R. B. Serjeant & R. Lewcock (ed.), San'a ': An Arabian Islamic City, London, 39-43

وديفيد توماس غوشينور. انتشار الإسلام الزيدي في اليمن في العصور الوسطى المبكرة.Gochenour, D. T. 1984: "The Penetration of Zaydi Islam into Early Medieval Yemen," Ph.D. dissertation, Harvard University.

3(*) أي قبل القرن السادس الهجري، تقريبًا، أي قبل 500هـ. المترجم.

4 ولفرد مادلونغ، أصول الهجرة اليمنية.:Madelung, W. 1991: "The Origins of the Yemenite Hijra," in Alan Jones (ed.), Arabicus Felix: Luminosus Britannicus Essays in Honour of A. F. L. Beeston on his Eightieth Birthday, Oxford, 25-44

5 ولفرد مادلونغ، «الزيدية»، موسوعة الإسلام.-Madelung, W. 2002: s.v. "ZAYDIYYA", The Encyclopaedia of Islam², Vol. 11, 477-481

6(**) ليس المقصود، في نظري، إدخال اليمن في الإسلام أو إدخال الإسلام إلى اليمن، فقد بدأ دخول اليمنيين الإسلام أيام رسول الله. ولعل الكاتب يقصد تطبيق بعض الأحكام الإسلامية في اليمن، خصوصًا في بعض المناطق، لذا فيكون معنى أسلمة اليمن أي تطبيق الأحكام الإسلامية. المترجم.

أشار إلى حالات الهِجرة التي شُوهدت في مواد تأريخية مختلفة؛ تتعلق بالزيدية دون تحليلها بعمق. وبناءً على ذلك، تهدف الدراسة الحالية إلى دراسة مفهوم الهِجرة بين زيدية اليمن بمصطلحات أكثر تحديدًا، وفيما يتعلق بالأنشطة الدينية والسياسية والاجتماعية للزيدية منذ نهاية القرن التاسع إلى النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي.

وسأستخدم، بشكل أساسي، السير الذاتية لأئمة الزيدية في هذه الورقة. وقد كتبَ هذه السير الذاتية أُناس معاصرون للائمة؛ ولأن أنشطة الأئمة مسجلة، بالتفصيل، فإنها ذات قيمة كبيرة كمصادر تأريخية. وفي الوقت نفسه، يجب توخي الحذر عند استخدامها، لأنها تُشيد، في أجزاء منها، بإنجازات الأئمة.

1. الهِجرة في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين:

1. 1. الآراء السابقة:

إن قبائل مختلفة، مثل خولان: سعد بن سعد والربيعة بن سعد وشاكر والحناجر ووادعة ويام وثقيف وبنو جماعة وبنو الحارث؛ سكنت في صعدة ونجران، في الجزء الشمالي من اليمن، وكانوا في صراع مستمر دائم مع بعضهم بعضًا منذ عصر الجاهلية، عندما دخل الزيدية اليمن لأول مرة في 284هـ/897م.[7] ونتيجةً لذلك، حدثت أشكال مختلفة من الاضطرابات الاجتماعية، مثل تفشي جرائم القتل والنهب وتدمير المنازل في صعدة ونجران قبل دخول الإمام الهادي إلى اليمن، مباشرة. ولحل هذه البيئة الاجتماعية الفوضوية، دعت هذه القبائل المختلفة، المقيمة في صعدة ونجران، الإمام الهادي، الذي كان يعيش في المدينة، إلى اليمن كمُحكَّم أو وسيط في الخلافات بين القبائل.[8] والسبب في دعوة الإمام الهادي هو أنه لم تكن له أي مصالح خاصة مباشرة في مختلف قبائل اليمن، وينتمي إلى سلالة الأشراف المنحدرة من النبي محمد. وبعد أن قَبل هذه الدعوة، كان برفقته عدد قليل من أقاربه والأصحاب والعبيد، وغادر المدينة عام 284هـ/897م. وعند دخول اليمن، أصبح الإمام الهادي أول إمام زيدي في اليمن، وبعد أن توسط بين القبائل، التي كانت تتعارض، بشكل متكرر، مع بعضها بعضًا في صعدة ونجران، أطلق بعد ذلك أنشطة عسكرية تهدف إلى إقامة الدولة الزيدية.

7 العلوي، علي بن محمد. سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. تحقيق: سهيل زكار، بيروت، 1972، ص68

8 المحلى. كتاب الحدائق الوردية في أئمة الزيدية. مجلدان. دار أسامة. دمشق. تأريخ الطبعة غير مدوّن، 2: 19؛ والعلوي، سيرة الهادي، ص68

وقد تم، بالفعل، تشكيل قاعدة زيدية اليمن مِن قِبل جد الإمام الهادي، القاسم بن إبراهيم بن محمد الرسي (169-246هـ/785-860م).[9] ووفقًا لمادلونغ، الذي درس المذهب الزيدي، بالتفصيل، وعرّف القاسم الهِجرة على أنها: هِجرة عن ديار الكَفرة والظَلَمَة، وكانت هذه الهِجرة واجبة على الزيدية.[10] ويتبع الإمام الهادي القاسم في تفسيره للهِجرة، فيقول إن: «الهِجرة، هي: الهِجرة من الدار التي يجري فيها أحكام الظَلَمَة الظالمون إلى دار أهل العدل»، ودعا الزيدية للانتقال من بيوت الظالمين والهِجرة إلى اليمن، حيث هاجر الإمام الهادي، بالفعل.[11] ونتيجة لذلك، أصبحت الهِجرة بين زيدية اليمن، كما فسرها الإمام الهادي، تعني التنقل والهِجرة إلى زعيم عادل؛ أي الإمام، من مكان حيث ساد فيه الظالم والقمع والظُلم.

وقد تم تسجيل بعض الأمثلة على الهِجرة بين الزيدية في سيرة الهادي. فعلى سبيل المثال، علي بن محمد بن عبيد الله الأعلى، مؤلف كتاب سيرة الهادي، يصف الوضع عند وصوله إلى صعدة على النحو الآتي: «كانت هجرتي إلى الهادي إلى الحق في ذي الحجة من سنة 285هـ/ديسمبر 898م، فوصلتُ إلى صعدة، فوجدتُ أبي محمد بن عُبيد الله بها واليًا للهادي إلى الحق».[12] وعلى أساس هذا المقطع، فسَّر مادلونغ الهِجرة في نهاية القرن التاسع الميلادي على أنها تعني «الهِجرة للانضمام إلى الإمام الشرعي في اليمن».[13]

ويُمكن العثور على مثال للهِجرة؛ يُمكن تفسيره، أيضًا، على أنه «هِجرة للانضمام إلى الإمام الشرعي في اليمن»؛ وذلك في عهد الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني (حكم في الفترة 389-393هـ/998-1003م)، بعد حوالي قرن على عهد الإمام الهادي. وعلى سبيل المثال، تنص سيرة المنصور على ما يلي: «منهم إبراهيم بن همّام وعبد الله بن أبي سُهيم وعمار بن أحمد، وكان هؤلاء من أقدم أصحابه [[أي الإمام المنصور]] هجرةً إليه».[14] وقد قَدِمَ الإمام المنصور من الحجاز إلى اليمن في نهاية القرن العاشر. ومن هذه الرواية، يُفهم أن الهِجرة تعني حركة الزيدية الذين هاجروا.

وبناءً على الأمثلة، المذكورة أعلاه، فسَّر مادلونغ الهِجرة منذ نهاية القرن التاسع إلى نهاية القرن العاشر الميلادي على أنها «هِجرة للانضمام إلى الإمام الشرعي في اليمن». وإذا تم تفسير الهِجرة التي تظهر في

---

9 ولفرد مادلونغ، الإمام القاسم بن إبراهيم والمذهب الزيدي.Madelung, W. 1965: Der Imam al-Qasim ibn Ibrahim und die Glaubenslehre der Zaiditen, Berlin.

ومادلونغ، "الرسي"، موسوعة الإسلام.Madelung, W. 1995: s.v. "AL-RASSI," The Encyclopaedia of Islam², 138-140

10 مادلونغ، «الرسي»، موسوعة الإسلام. Madelung, "AL-RASSI,", 138-140.

11 رضوان السيد. الدار والهجرة وأحكامهما عند ابن المرتضى. مجلة كليات الآداب. (جامعة صنعاء) 14، 1993، ص54

12 العلوي، سيرة الهادي، ص ص 115-116

13 مادلونغ، أصول الهجرة اليمنية.Madelung, "The Origins of the Yemenite Hijra, 27

14 الحسين بن أحمد [بن] يعقوب. سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني. تحقيق: عبد الله الحبشي. صنعاء، 1996، ص201

وراجع: مادلونغ، أصول الهجرة اليمنية.Madelung, "The Origins of the Yemenite Hijra, 27-28.

المواد التأريخية حرفيًا، فمن الممكن قبول تفسير مادلونغ. ومع ذلك، عند إعادة النظر في الهِجرة، مع إيلاء الاعتبار الواجب للتغيرات في الوضع السياسي والاجتماعي المحيط بالزيدية، يمكن الطعن في هذا التفسير.

1. 2. الهِجرة دعمًا عسكريًا للأئمة وفرصةً لحياة جديدة:

بعد 284هـ/897م، عندما هاجر الإمام الهادي من المدينة إلى اليمن، يمكن للمرء أن يؤكد انتقال الزيدية من خارج اليمن إلى اليمن. ووفقًا للنصوص التأريخية المختلفة للزيدية، فقد انتقلوا إلى اليمن، بشكل رئيس، من طبرستان، وهي منطقة تقع على الساحل الجنوبي لبحر قزوين، ومن الحجاز، وهي الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية.

وكانت طبرستان، وهي التي ورد ذكرها، أولًا، على أنها موطن الزيدية الذين قدموا إلى اليمن بين نهاية القرن التاسع ونهاية القرن العاشر الميلادي، وكان يُطلق على الأشخاص الذين انتقلوا من طبرستان إلى اليمن، بحسب سيرة الهادي، «بأهل طبرستان الذين انتقلوا إليه [[أي الإمام الهادي]] (من هاجر إليه من الطبريين)».[15] وفي ذلك الوقت، «كان العلويون، وهي سلالة أسسها الحسن بن زيد (المُتوفى 270هـ/884م)، وهم من نسل الحسن بن علي، يتولون السلطة في طبرستان.[16] وفي وقت لاحق، نجح الإمام الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش (230-304هـ/844-917م)، والذي وحد الزيدية في الساحل الجنوبي لبحر قزوين، في تحويل سكان الديلم وجيلان إلى الإسلام.[17] وعلاوةً على ذلك، ومن أجل دعم الزيدية في اليمن بقيادة الإمام الهادي، شجع المعتنقين الجدد على الذهاب إلى اليمن.[18] ويُفهم من هذا، أنه كان هناك مبادلة بين الزيدية في طبرستان وتلك الموجودة في اليمن.

وهناك مكان مهم آخر؛ يُذكر على أنه الموطن السابق للزيدية الذين انتقلوا إلى اليمن، وهو الحجاز. وكانت المدينة المنورة، على وجه الخصوص، مسقط رأس كلًا من الإمامين الهادي والناصر.[19] ولذلك، يمكن اعتبار المدينة كمركز انتشر منه الزيدية إلى أماكن مختلفة في غرب آسيا، في ذلك الوقت. وفي الواقع، جاء العديد من الزيدية من الكوفة وطبرستان لزيارة القاسم بن إبراهيم بن محمد الرسي (المُتوفي 246هـ/860م)، جد الإمام الهادي، والذي عاش في الرس، في ضواحي المدينة.[20] وتم ذكر اسم الإمام

15 العلوي، سيرة الهادي، 116، 136

وراجع: مادلونغ، أصول الهجرة اليمنية.Madelung, “The Origins of the Yemenite Hijra, 27.

16 فر. بهل. «الحسن بن زيد»، موسوعة الإسلام.Buhl, Fr. 1986: s.v. “AL-HAASAN B. ZAYD,” in The Encyclopaedia of Islam², Vol. 3, 245.

17 المحلي، الحدائق الوردية، 2: 30

18 الهاروني، [يحيى بن] حسين بن هارون. الإفادة في تأريخ الأئمة الزيدية. تحقيق: محمد يحيى [سالم]. صنعاء، 1996، ص ص153-154

19 المحلي، الحدائق الوردية، 2: 28

20 مادلونغ، «الرسي»، موسوعة الإسلام. Madelung, “AL-RASSI,”, 453-454.

الهادي في خطبة الجمعة في مكة لمدة سبع سنوات.[21] ولذلك، تم العثور، أيضًا، على الزيدية، الذين دعموا الإمام الهادي في مجتمع مكة. وبالإضافة إلى ذلك، كان أتباع الزيدية موجودين، أيضًا، في الحجاز خارج هاتين المدينتين. وورد في سيرة المنصور، أن شريفًا يُدعى أبو الليل الحراني الحسني وصل من الحجاز في اليمن برفقة أسرته (أهل البيت) في نهاية القرن العاشر الميلادي.[22] وهكذا، كما ذكرنا سابقًا، كان الأشخاص الذين انتقلوا إلى مكان الزيدية في اليمن، منذ نهاية القرن التاسع إلى نهاية القرن العاشر الميلادي، من أتباع الزيدية الذين تعود أصولهم إلى طبرستان والحجاز.

وورد في السير الذاتية لأئمة الزيدية، أن الزيدية انتقلت من مناطق خارج اليمن، مثل طبرستان والحجاز، إلى اليمن بهدف تقديم الدعم العسكري لزيدية اليمن. وفي عام 284هـ/897م، دخل الإمام الهادي اليمن، واستقر في صعدة، ووضع النجران تحت حكمه في العام نفسه. وكان قد استولى على برط ووشحة، إلى الجنوب الغربي من صعدة في العام التالي، وبدأ الأنشطة التوسعية للزيدية.[23] وعندما قاد القتال ضد قبيلة همدان بقيادة الدعام، أرسل الإمام الهادي، الذي كان ينوي زيادة جيشه، أخوه عبد الله بن الحسين إلى الحجاز في 285هـ/898-899هـ. ونتيجةً لذلك، عاد عبد الله إلى صعدة مع حوالي خمسين شخصًا من طبرستان، كانوا يزورون الحجاز في رحلة حج إلى مكة. وفي سيرة الهادي، يصف هؤلاء الناس من طبرستان بأنهم «أناس يقاتلون في سبيل الله، يتألفون من أناس من طبرستان؛ انتقلوا إليه (مجاهدين ممن هاجر إليه من الطبريين)»[24]، ويُوصفون بأنهم مقاتلين من أجل توسع الزيدية في اليمن. وعلاوةً على ذلك، وصل أحفاد أبي طيب، ممن ينتمون إلى ذرية الحسن (بنو أبي طيب الحسنيين) كـ «مهاجرين» من الحجاز في عهد الإمام المنصور. وقد ورد في سيرة المنصور، أنهم كانوا «أناسًا لديهم وفرة من المال والعبيد (الرقيق) والقوة العسكرية (السلطنة) في ذلك الوقت»[25] وإلى جانب هذه الحالة، كان هناك حالة أخرى فيها رزين بن أحمد، وهو مَن تم إرساله إلى الإمام، مِن قِبل معاون الإمام المنصور في الحجاز، برفقة قبائل مختلفة من الحجاز (قبائل الحجاز)[26]. وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك، أيضًا، حالة انتقال من خارج الزيدية إلى اليمن بالجنود والخيول، والتي كان لا غنى عنها للنشاط العسكري. ووفقًا لسيرة المنصور، فقد

---

21 ابن عنبة. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب. بيروت، تأريخ الطبعة غير مدوّن، ص204

22 هو: أبو الليل، زار الإمام المنصور، ثم ذهب، فيما بعد، إلى المدينة ليدعو الزيدية، الذين يعيشون هناك، لمقاومة الفاطميين في مصر، الذين حكموا مقاطعات الحجاز. الحسين بن أحمد [بن] يعقوب، سيرة الإمام المنصور، ص ص61-62

وبالإضافة إلى ذلك، هناك شخص يُدعى المغيرة بن بدر، مبعوث الحسين بن أبي الحسن بن مسلم، والذي زار والي المدينة المنورة، كما زار الإمام في اليمن. الحسين بن أحمد [بن] يعقوب، سيرة الإمام المنصور، ص61، 151

23 يحيى بن الحسين. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني. تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور. مجلدان. القاهرة، 1968، 1: 169-170

24 العلوي، سيرة الهادي، 116؛ وراجع: مادلونغ، أصول الهجرة اليمنية.27 ,Madelung, "The Origins of the Yemenite Hijra.

25 الحسين بن أحمد [بن] يعقوب، سيرة الإمام المنصور، ص130

26 المصدر السابق، ص196، 197

قاد شريفًا؛ يُدعى القاسم بن الحسين الزيدي، من الطائف، الناس المقيمين في بلد خَثْعَم[27] في 389هـ/998م، وانضم إلى جيش الإمام بفرسان وخيول تحت إمرته. وتم إرسالهم، لاحقًا، بناءً على تعليمات الإمام إلى ذمار، وهو موقع استراتيجي على طريق قوافل الهضبة، لتوسيع دائرة نفوذ الزيدية إلى جنوب صنعاء وبناء قاعدة للزيدية في هذه المنطقة.[28] وهكذا، فإن زيدية طبرستان والحجاز، الذي جاءوا من الخارج إلى الإمام في اليمن، فعلوا ذلك لتقديم دعمهم العسكري.

وعلى الرغم من أن أتباع الزيدية، ممن يقطنون خارج اليمن، كانوا ينتقلون إليها كمزودين للقوة العسكرية، إلا أنهم، في الوقت نفسه، كانوا يأملون الاستقرار والحصول على أراض جديدة في اليمن. وبحسب سيرة المنصور، فإن ذرية الحسن بن علي (بنو حسن) عرضوا رأس المال الذي كان لديهم كدعم لغزوة المنصور على تهامة، وطلبوا أن يعهد إليهم بحكمها لمّا غزاها، فامتثل لطلبهم.[29] وهؤلاء المتحدرون من الحسن بن علي هم الأشخاص الذين ورد ذكرهم، أعلاه، على أنهم قدموا من الحجاز إلى اليمن. وكان نسل الحسن بن علي على علم بما يجري التخطيط له من التقدم إلى سهل تهامة حتى يتمكن الإمام المنصور من الاستيلاء على مدينة عَثر على ساحل البحر الأحمر[30]، ومِن ثَم، قدّموا الاقتراح، المذكور أعلاه، إلى الإمام. وفي ذلك الوقت، كانت تهامة تحت حكم الزياديين (203-409هـ/818-1018م)، الذين كانت عاصمتهم زبيد، وكان اثنان من مماليك الزياديين يحكمون عَثر، والتي يطلبها الإمام المنصور.[31] ولا بد من الاعتقاد، بأن الدعم الذي قدمه ذرية الحسن بن علي إلى الإمام المنصور يتكون من الجنود والخيول والإمدادات العسكرية لهذه الحملة إلى تهامة. ومع ذلك، فإن النقطة المهمة هي أن ذرية الحسن بن علي طلبوا من الإمام المنصور حُكم تهامة بعد فتحها مقابل دعمهم العسكري. وكان هناك، أيضًا، مثال آخر لأتباع الزيدية، الذين قدموا إلى اليمن من أجل الحصول على أرض جديدة. فوفقًا لسيرة المنصور، جاء إليه وفد من خَثعَم كأشخاص «مهاجرين» إلى تهامة، وقد أذن لهم الإمام المنصور بالانصراف إلى بلدهم؛ لأنهم أرادوا المغادرة.[32] ومن المفترض، أن هذا الوفد من خَثعَم أتى، بالمثل، لتقديم المساعدة العسكرية.[33] وقد وافق

27 بحسب جورجيو ليفي دلا فيدا Levi Della Vida، سكن خَثعَم المنطقة الجبلية الواقعة بين الطائف والنجران، على طول طريق القوافل من اليمن إلى مكة. "خَثعَم"، موسوعة الإسلام. Levi Della Vida, G. 1997: s.v. "KHATH'AM," The Encyclopaedia of Islam², Vol. 4, 1105-1106

28 الحسين بن أحمد [بن] يعقوب، سيرة الإمام المنصور، ص53؛ والصنعاني، إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري. تاريخ صنعاء. تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، صنعاء، تأريخ الطبعة غير مدوّن، ص108

29 الحسين بن أحمد [بن] يعقوب، سيرة الإمام المنصور، ص144، 205

30 عَثر، هي: عاصمة المقاطعة الواقعة في شمال غرب اليمن على البحر الأحمر. أو لوفغرين. عثر، موسوعة الإسلام. Löfgren, O. 1986: s.v. "'ATHR," The Encyclopaedia of Islam², Vol. 1, 737-738

31 الحسين بن أحمد [بن] يعقوب، سيرة الإماء المنصور، ص40؛ وراجع: جي آر سميث. التأريخ السياسي لليمن الإسلامي وصولا إلى الغزو التركي الأول. Smith, G. R. 1988: "The Political History of the Islamic Yemen down to the First Turkish Invasion (1-945/622-1538)," in W. Daum (ed.), Yemen: 3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix, Innsbruck and Frankfurt-am-Main, 129-139

32 الحسين بن أحمد [بن] يعقوب، سيرة الإمام المنصور، ص147

33 من المفترض أن العلاقات بين خَثعَم والإمام المنصور كانت وثيقة، لأنه عندما تلقى الإمام المنصور رسالة؛ تُشير إلى عدم الرضا عن الاضطراب بين خَثعَم، حاول حلها. الحسين بن أحمد [بن] يعقوب، سيرة الإمام المنصور، ص ص207-208

الإمام المنصور على مغادرة وفد خَثْعَم، الذين كانوا يبحثون عن أرض جديدة في اليمن مقابل هذا الدعم العسكري. وهكذا، كان من بين أتباع الزيدية، الذين هاجروا من خارج اليمن، بعض الذين كانوا يبحثون عن حياة جديدة بدلًا من تقديم الدعم العسكري للإمام.

واستنادًا إلى الدراسة، المذكورة أعلاه، يتضح أن الهِجرة بين الزيدية، منذ أواخر القرن التاسع إلى أواخر القرن العاشر الميلادي، كانت بمثابة حركة لغرض تقديم الدعم العسكري للزيدية، والاستقرار والحصول على أراض جديدة في اليمن. وبالتالي، فقد وفرتْ الهِجرة من خارج اليمن، في هذا الوقت، القوة العسكرية التي لا غنى عنها لتوسيع الزيدية، ولعبت دورًا مهمًا في توسع الزيدية في اليمن. ولذلك، يبدو أن تفسير مادلونغ يحتاج إلى تعديل، إلى حد ما.

2. الهِجرة في القرن الحادي عشر الميلادي:

2. 1. الآراء السابقة:

عند فحص المواد التأريخية لزيدية اليمن، المكتوبة في القرن الحادي عشر الميلادي، يتبين أن هناك أمثلة على الهِجرة في القرن الحادي عشر. ولا يمكن تفسيرها على أنها حركة. وأشار مادلونغ إلى أن نوع الهِجرة، والذي لا يمكن تفسيره على أنها استخدمتْ الحركة في معنى «مناطق معينة في اليمن». ورغم ذلك، فقد فسَّرها على أنها تؤدي وظيفة «معاقل وملاجئ».[34] إن حالة الهِجرة التي يستند إليها تفسير مادلونغ هي مقطع من وصية مكتوبة بقلم الشريف ذو الشرفين محمد بن جعفر بن القاسم (المُتوفى 468هـ/1075م)، أمير الزيدية، عندما كان محاصرًا في شهارة مِن قِبل جيش الصليحيين (439-532هـ/1047-1138م)، الذي كان قد اكتسب السلطة، بسرعة، في النصف الأول من القرن الحادي عشر. وقد فسَّر مادلونغ الهِجرة بالطريقة، المذكورة أعلاه، في ضوء حقيقة إن «هذه الهِجرة» التي تظهر في الفقرة الأخيرة من الوصية، المكونة من سبع مواد، تعني أن شهارة كانت، على وجه التحديد، حصنًا ضد هجوم الصليحيين.[35] بالإضافة إلى ذلك، يُلاحظ مادلونغ أن الشريف ذو الشرفين محمد بن جعفر بن القاسم يُطلق على أهل شهارة «أهل هذه الهِجرة».[36] ويمكن القول إن تحليل مادلونغ للهِجرة، في القرن الحادي عشر، على أنه يُشير إلى «مناطق معينة في اليمن» صحيح.

34 مادلونغ، أصول الهجرة اليمنية.Madelung, "The Origins of the Yemenite Hijra, 29

35 المصدر السابق.

36 الربعي، مفرّح بن أحمد. سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابنيّ جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني. تحقيق: رضوان السيد & عبد الغني محمود عبد العاطي. بيروت، 1993، ص279؛ ومادلونغ، أصول الهجرة اليمنيةMadelung, "The Origins of the Yemenite Hijra, 29.

ومع ذلك، لا يُحلل مادلونغ وظيفة صعدة، التي اعتبرها هِجرة إلى جانب شهارة، في ذلك الوقت. وعلاوةً على ذلك، فهو لم يُوضح سبب تغيير معنى الهِجرة في النصف الأخير من القرن الحادي عشر من «الهِجرة إلى الإمام العادل» إلى «مناطق معينة في اليمن»؛ أي «الحصن والملاذ الآمن».

2. 2. الهِجرة كموقع للسلطة السياسية والدينية:

وكانت صعدة، المعروفة منذ عصر الجاهلية، تقع في منطقة الهضبة والسهول شمال اليمن، وكانت موقعًا إستراتيجيًا على الطريق البري الذي يقطع هضبة شبه الجزيرة العربية من الشمال إلى الجنوب. ويذكر الإدريسي، العالم الجغرافي العربي من القرن الثاني عشر الميلادي، أن صعدة، والتي كانت تُسمى بلدة الدباغين (بلد الدَبَّاغة)، تُنتج منتجات جلدية؛ كانت تُصدرها إلى اليمن والحجاز.[37] ويذكر المقدسي، وهو عالم جغرافي عربي من القرن العاشر الميلادي، أنها كانت عاصمة «العلويين» ومعقلهم السياسي (مدينة العلوية وعَملهم).[38] أما الاصطخري، وهو عالم جغرافي من القرن العاشر الميلادي، أيضًا، فيقول إن التُجار والمال اجتمعت هناك، وأن «الحسيني» (من نسل الحسين بن علي)، المعروف بالزيدي، كان مقره هناك.[39]

ولكن صعدة لم تكن، بالضرورة، مدينة قوية، على الرغم من كونها مدينة يمنية مرموقة. ولقد سقطت عدة مرات في أيدي الصليحيين، الذين اكتسبوا السلطة، بسرعة، في بداية القرن الحادي عشر الميلادي، وبالتالي، كشف نقاط ضعفها.[40] وفي 447هـ/1055م، تم إجلاء الشريف الفاضل (المُتوفى 468هـ/1075م)، شقيق الشريف ذو الشرفين محمد، على عجل إلى بلد بنو صُريم من صعدة، عندما علم بعودة جيش الصليحيين الذين ذهبوا في حملة إلى تهامة[41]، ولذلك من الصعب تخيل أن صعدة، بصفتها هِجرة، كان له وظائف «المعقل والملجأ».

وكما ذكر مادلونغ، فإن الهِجرة، في القرن الحادي عشر، تعني «مناطق معينة في اليمن»؛ في إشارة إلى مدينتي شهارة وصعدة.[42] ولكن من الصعب ربط هاتين المدينتين بـ «معاقل وملاجئ آمنة»، وبالتالي،

---

37 الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.al-Idrısı 1970-84: Kitab Nuzhat al-Mushtaq fı al-Ikhtiraq al-Afaq (Opvs. Geographicvm), ed. By Istituto Universitario di Napoli, 9 Vols., Leiden,224

38 المقدسي. كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دي جويه. ليدن، 1967، ص87

39 الاصطخري. مسالك الممالك. تحقيق: دي جويه. ليدن، 1967، ص24

40 الربعي، سيرة الأميرين، ص ص189-190

41 المصدر السابق، ص93. [لم أقف عليه. المترجم].

42 مادلونغ، أصول الهجرة اليمنية.Madelung, “The Origins of the Yemenite Hijra, 29-30.

أود التفكير في الهِجرة في هذا الوقت من خلال دراسة كيف كان الزيدية في اليمن ينظرون إلى مدينتيّ شهارة وصعدة في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي.

وفي 463هـ/1071م، أباد الشريف ذو الشرفين جيش الصليحيين المتمركزين في نوسان في أنس، شمال غرب ذمار. وبعد الإشادة بإنجازات شريف ذوي الشرفين بإخضاع هذا المقاطعة، تُشير سيرة الأميرين إلى عودته إلى شهارة، والتي توصف بأنها «مكان سلطته (مستقر عزه)».[43] وهناك، أيضًا، حالات أخرى وُصفت فيها شهارة بأنها «مركز سلطة[44]»: «ولمّا كان سنة 468هـ[1075/م]]، وتخلى من الحصون الشرفاء والسلاطين، وصاروا إلى مستقر عزهم بشهارة، رأى الشريف الفاضل الإقامة بخيله وحريمه في وادي بني الدِعام».[45] وكان الشريف ذو الشرفين والشريف الفاضل أميرين من الحسينية، ويتمتعان بسلطة سياسية تكاد تساوي سلطة الإمام، وكلاهما في موقع القيادة على الحسينية. وكان الحسينية، كحزب سياسي، مهيمن سياسي بين الزيدية في ذلك الوقت؛ لأن الهادوية (ذرية الإمام الهادي) الزيدية، المتمركزين في صعدة، قد أضعفتهم الاحتلالات المتكرر لصعدة بواسطة الصليحيين. ويمكن الاستنتاج، من هذا، على أن «السلطة» التي تظهر في المواد التأريخية، المذكورة أعلاه، تُشير إلى السلطة السياسية لقيادة الحسينية، الذين كانوا، في ذلك الوقت، مسيطرين سياسيًا على الزيدية. وعلاوةً على ذلك، يمكن افتراض أن شهارة، كموقع تواجدت فيه هذه السلطة السياسية للزيدية، كانت تُمثل موقعًا تُوجد به السلطة السياسية للزيدية في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي.[46]

وإذا كان يُنظر إلى شهارة، باعتبارها موقعًا للسلطة السياسية الزيدية، فكيف يُنظر إلى صعدة، التي كانت تُعتبر، أيضًا، هِجرة، إلى جانب شهارة، في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي؟

لقد أصبحت صعدة، بحلول منتصف القرن الحادي عشر، مركزًا سياسيًا ودينيًا لزيدية اليمن بعد أن بنى الإمام الهادي قاعدته هناك نهاية القرن العاشر الميلادي.[47] ولذلك كانت قاعدة الهادوية موجودة في صعدة حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادي. ومع ذلك، فقد أضعفت الهجمات المتكررة للصليحيين الهادوية، وانتقلت المبادرات السياسية والدينية داخل الزيدية من الهادوية إلى الحسينية. ونتيجة لذلك، تحولتْ القاعدة السياسية لزيدية اليمن، بعد النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي، من صعدة إلى شهارة، قاعدة الحسينية.

---

43 الربعي، سيرة الأميرين، ص196

44 للاطلاع على أمثلة أخرى على الإشارة إلى شهارة كموقع للسلطة، انظر: المصدر السابق، ص157، 192

45 المصدر السابق، ص ص242-243

46 انتقل الشريف الفاضل إلى وادي بني الدِعام وجعلها هِجرة، وإذا كانت الهجرة موقعًا للسلطة السياسية للزيدية، فلن يكن ذلك مشكلة بأي شكل من الأشكال؛ نظرًا لأن الشريف الفاضل كان زعيمًا سياسيًا بين الزيدية، فقد كان سلطته سياسية في ذلك الوقت.

47 المقدسي، كتاب أحسن التقاسيم، ص87

وفي النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي، سعتْ الحسينية لتحرير صعدة من حكم الصليحيين. واستعاد الشريف الفاضل، الذين ينتمي إلى الحسينية، صعدة، مؤقتًا، من الصليحيين في 448هـ/1056م.[48] وفي رمضان 463هـ/يونيو- حزيران 1071م، استعاد الشريف الفاضل صعدة، مجددًا، امتثالًا لطلب من الهادوية لتحرير صعدة.[49]

وكان السبب في إصرار الزيدية على استعادة صعدة، التي احتلها، بشكل متكرر، الصليحيون، هو أن صعدة كانت مكانًا مهمًا، للغاية، بالنسبة لزيدية اليمن، أي ملجأً دينيًا. وقد دُفن الإمام الهادي، المُتوفى عام 298هـ/911م، في قبر ملحق بمسجد صعدة. وفي مجموعة من الأساطير حول الإمام الهادي، في القرن الثالث عشر الميلادي، تم تسجيلها فيما يتعلق بموقع قبره؛ أن رفاقه سمعوا منه أن من قُتل أو مات معه فإنه سيُدفن بجانبه.[50] ووفقًا لمجموعة الأساطير، فإن الإمام الثاني، المرتضي محمد بن يحيى (حكم في الفترة 298-301هـ/911-913م) أمر بحفر قبر الإمام الهادي إلى الجنوب من مقبرة الشهداء المكونة من المهاجرين القادمين من طبرستان وسكان صنعاء (الصنعانيين) وسكان صعدة (الصعديين) وأشخاص آخرين وجميع المسلمين.[51] وبعد ذلك العديد من الأئمة المتعاقبين، مثل الإمام المرتضي والإمام الناصر (حكم في الفترة 301-325هـ/913-937م)، واللّذيّن دُفنا بالقرب من قبر الإمام الهادي.[52] وهكذا، كانت المقبرة، الملحقة بالمسجد، مكونة من قبور للأئمة، ومقابر لسكان المدينة والمهاجرين الذين ضحوا بأنفسهم من أجل توسيع الزيدية في اليمن.

ويأتي أتباع الزيدية من أماكن مختلفة في اليمن لزيارة قبر الإمام الهادي بقصد الحصول على بركته. وبحسب الأساطير المتعلقة بالإمام الهادي، فقد ظهر أناس أشادوا ببركته وزاروا قبره، وسارعت ذرية الإمام الهادي، في مناطق مختلفة، وسكان صعدة (أهل صعدة) الأتقياء إلى زيارة قبر الإمام الهادي.[53] وليس من المؤكد متى بدأت هذه الزيارات إلى قبره. ووفقًا لسيرة المنصور[54(*)]، فعندما دخل الإمام المنصور صعدة بجيوشه، عام 398هـ/991م، وتوجه إلى المسجد، وزار، هناك، قبر الإمام الهادي وقبور الأئمة الآخرين

48 ولفرد مادلونغ، سيرة الأمرين الجليلين الشريفين الفاضل القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني كمصدر تأريخي.,Madelung, W. 1979: "The Sırat al-Amırayn al-Ajallayn al-Sharıfayn al-Fadilayn al-Qasim wa- Muhammad Ibnay Ja'far Ibn al-Imam al-Qasim b. 'Alı al-'Iyanı as a Historical Source," in Studies in the History of Arabia: Sources for the History of Arabia, Pt. 2, Riyad, 69-87.

49 الربعي، سيرة الأميرين، ص189-192

50 عبد الله بن محمد بن حمزة. دُرر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية. تحقيق: يحيى عبد الله الفضيل، بيروت، 1979، ص204

51 عبد الله، دُرر الأحاديث، ص 204

52 في وقت لاحق، أحفاد الإمام الهادي، مثل المختار القاسم بن الناصر (المُتوفى 366هـ/977)، ودفن الإمام يوسف (المُتوفى 403هـ/1012م) بالقرب من قبره.

53 عبد الله، دُرر الأحاديث، ص 204

54(*) أي الإمام المنصور القاسم بن علي العياني. المترجم.

(زار القبور).[55] ومن هذا المنطلق، يتضح أن زيارة قبر الإمام الهادي أصبحت ممارسة مألوفة لدى الزيدية بنهاية القرن العاشر الميلادي. وعلى أي حال، يجب أن يُعتقد أن قبر الإمام الهادي أصبح مكانًا مقدسًا للزيدية الذين زاروه لينالوا بركته. ولذلك، عندما يأخذ المرء في الاعتبار حقيقة أن الإمام الهادي هو الذي بنى الأسس الدينية لزيدية اليمن، فيمكن افتراض أن صعدة كان تُعتبر لدى زيدية اليمن موقعًا للسلطة الدينية، والمقبرة كملاذ. وبناءً على الدراسة، المذكورة أعلاه، فقد يكون من الأنسب تفسير الهِجرة، في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، على أنها «أماكن محددة» في شكل مواقع للسلطة السياسية والدينية للزيدية، بدلًا من «معاقل وملاجئ آمنة» على النحو الذي اقترحه مادلونغ.

وأخيرًا، أود أن أناقش سبب تغيير معنى الهِجرة، في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي، من حركة لتقديم الدعم العسكري والاستقرار والحصول على أراض جديدة إلى مواقع للسلطة السياسية والدينية للزيدية.

ففي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، أدى ظهور الصليحيين، الذين اكتسبوا السلطة، بسرعة، مع قاعدتهم في مسار[56(**)]، في المنطقة الجبلية إلى الجنوب الغربي من صنعاء، إلى تحول كبير في الوضع السياسي والاجتماعي في اليمن. ولقد انتصر علي بن محمد الصليحي (439-459 أو 473هـ/1047-1066 أو 1080م) على أبي حاشد، زعيم همدان وحاكم صنعاء، ثم وضع صنعاء وضواحيها تحت حكمه. وبحلول عام 455هـ/1063م كان قد وضع كل اليمن تحت حكمه.[57] وتحت ضغط صعود الصليحيين، تم إضعاف الزيدية، تدريجيًا. وبقيادة الإمام أبي الفتح، اشتبك الزيدية مع جيش الصليحيين في نجد الجاح عام 444هـ/1052م، وتعرضوا لهزيمة ساحقة، حيث قُتلت أعداد كبيرة من الزيدية، بما فيهم الإمام أبو الفتح.[58] [59] وعلاوةً على ذلك، ففي 448هـ/م، 1056 قاد الشريف الفاضل انتفاضةً مسلحةً ضد جيش الصليحيين من خلال إثارة رجال القبائل المختلفين الذين ينتمون إلى همدان. ومع ذلك، أُقتيد إلى حصن الهرابة في بلاد وادعة، واستسلم بعد أن حاصرها الصليحيون لمدة سبعين يومًا.[60] وقد حاول الزيدية الاتصال بشريف مكة

55 الحسين بن أحمد [بن] يعقوب، سيرة الإمام المنصور، ص25

56(**) جبل عال بمديرية حراز. المترجم.

57 يحيى بن الحسين، الغاية، 1: 247-249، 254

58 المصدر السابق، 1: 250

59 وفقًا لرواية الغاية، كان الإمام أبو الفتح أحد أئمة الزيدية الذين أتوا من الديلم (بلاد الديلم) إلى اليمن عام 437هـ/1045-1046م. المصدر السابق، 1: 246

60 المصدر السابق، 1: 251-252

والمدينة، عدة مرات، من أجل تحقيق اختراق في موقفهم السياسي المتدني، وطلبوا دعمًا عسكريًا للإطاحة بجيش الصليحيين، ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل.[61]

وأدتْ هذه التغييرات، في الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بالزيدية، إلى نشوء حالة غير مواتية، للغاية، لبقاء الزيدية. ولذلك، من المفترض أن أتباع الزيدية، في جميع أنحاء العالم الإسلامي، تجنبوا الانتقال إلى اليمن. وفي الواقع، وردًا على صعود الصليحيين في اليمن، لم يعد أتباع الزيدية يأتون إلى اليمن، ولم تعد هناك أمثلة للهِجرة بمعنى الحركة في المواد التأريخية. ومن ناحية أخرى، اتخذت الهِجرة معنى موقع السلطة السياسية والدينية للزيدية، ومع ضعف الزيدية نتيجة نمو الصليحيين، أصبحت تُشير إلى مكان للحفاظ على الزيدية روحيًا وماديًا.[62]

خاتمة:

بناءً على الدراسة، المذكورة أعلاه، يُمكن عرض المفاهيم المتغيرة للهِجرة منذ نهاية القرن التاسع إلى النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي على النحو الآتي: كانت الهِجرة تعني، منذ نهاية القرن التاسع إلى نهاية القرن العاشر الميلادي، الانتقال إلى أئمة الزيدية في اليمن لغرض تقديم الدعم العسكري، والاستقرار والحصول على أراضٍ جديدة. ومع ذلك، عندما بدأت المخاوف بشأن بقاء الزيدية على قيد الحياة نتيجة للتغيرات المفاجئة في الوضع السياسي والاجتماعي في اليمن منذ النصف الأول إلى النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، أصبحت الهِجرة تعني مواقع السلطة الدينية للزيدية، والمواقع التي حافظت على الرفاه الروحي والمادي للزيدية. ويمكن القول، على أي حال، إن مفهوم الهِجرة، هذا، بين الزيدية، كان له وظيفة فعّالة، للغاية، في توسيع وصيانة سلطتهم في اليمن.

---

61 وفقًا لسيرة الأميرين، كانت هناك الحالات الآتية التي اتصل فيها شريف مكة والمدينة بالزيدية:

(1) سأل الشريف الفاضل الأمير شكر بن أبي الفتوح وبني الحسن في مكة النجدة بالرجال والأموال. الربعي، سيرة الأميرين، ص104

(2) في عام 452هـ/1060م، أعطى الشريف الفاضل شُكر هدية؛ عبارة عن حصانين وبغالين، وأرسل شكر نقودًا في المقابل. المصدر السابق، ص124

(3) في 459هـ/1067م، فشل الشريف الفاضل في الحصول على مقابلة الوزير في مكة، وكان أمير المدينة، المختار ابن أحمد الحسني، غائبا عندما زاره الشريف الفاضل. المصدر السابق، ص137. راجع: مادلونغ، سيرة الأمرين الجليلين الشريفين...- Madelung, “The Sırat al-Amırayn al-Ajallayn al-Sharıfayn al-Fadilayn al-Qasim wa- Muhammad Ibnay Ja‘far Ibn al-Imam al-Qasim b. ‘Alı al-‘Iyanı as a Historical Source,” 73

62 فيما يتعلق بأسباب التغيير في معنى الهجرة، هناك مشكلة في سبب اعتبار صعدة وشهارة، فحسب، هِجرتين في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي. وفي الوقت الحاضر، لا يُمكنني العثور على أي مواد تأريخية لحل هذه المشكلة. ومع ذلك، فإنني أتبنى، حاليًا، وجهة النظر التالية لهذه المشكلة؛ أي أن صعدة هي، فحسب، من تم تحويلها، في بداية الأمر، إلى هِجرة، وكانت صعدة، على وجه التحديد، ملاذًا مقدسًا في نهاية القرن العاشر الميلادي، وكانت صعدة مكانًا للسلطة السياسية والدينية، لأن الأئمة الزيدية كانوا في صعدة منذ منتصف النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي. ومع ذلك، عندما نمت قوة الصليحيين، بسرعة، في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي، لم تعد صعدة، لأسباب دفاعية، مكانًا آمنًا للأئمة الزيدية الذين يُمثلون السلطة السياسية. ثم انتبه الزيدية إلى شهارة، باعتبارها معقلًا طبيعيًا، واستولوا عليها، وجعلوا منها موقعًا للسلطة السياسية للزيدية. ونتيجة لذلك، تم تقسيم الهجرة، التي كانت حتى ذلك الحين موقعًا للسلطة الدينية والسياسية، بين مدينتيّ صعدة وشهارة.

قائمة بالمصادر والمراجع:

أولًا: المصادر والمراجع الأولية باللغة العربية:

عبد الله بن محمد بن حمزة. دُرر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية. تحقيق: يحيى عبد الله الفضيل، بيروت، 1979

العلوي، علي بن محمد. سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. تحقيق: سهيل زكّار، بيروت، 1972

الهمداني. صفة جزيرة العرب (جغرافيا شبه الجزيرة العربية). تحرير: د. مولر. ليدن، 1968.

الهاروني، [يحيى بن] حسين بن هارون. الإفادة في تأريخ الأئمة الزيدية. تحقيق: محمد يحيى [سالم]. صنعاء، 1996

الحسين بن أحمد [بن] يعقوب. سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني. تحقيق: عبد الله الحبشي. صنعاء، 1996.

ابن عنبة. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب. بيروت، تأريخ الطبعة غير مدوّن.

الاصطخري. مسالك الممالك. تحقيق: دي جويه. ليدن، 1967

المحلى. كتاب الحدائق الوردية في أئمة الزيدية. مجلدان. دار أسامة. دمشق. تأريخ الطبعة غير مدوّن.

المقدسي. كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دي جويه. ليدن، 1967

الربعي، مفرِّح بن أحمد. سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابنيّ جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني. تحقيق: رضوان السيد & عبد الغني محمود عبد العاطي. بيروت، 1993

الصنعاني، إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري. تاريخ صنعاء. تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، صنعاء، تأريخ الطبعة غير مدوّن.

يحيى بن الحسين. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني. تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور. مجلدان. القاهرة، 1968

ثانيًا: المصادر والمراجع الأولية باللغة الأجنبية:

al-Idrısı 197084-: Kitab Nuzhat al-Mushtaq fı al-Ikhtiraq al-Afaq (Opvs Geographicvm), ed. By Istituto Universitario di Napoli, 9 Vols., Leiden.

ثالثًا: المصادر والمراجع الأولية باللغة العربية:

رضوان السيد. الدار والهجرة وأحكامهما عند ابن المرتضى. مجلة كليات الآداب. (جامعة صنعاء) 14، 51-76، 1993

رابعًا: المصادر والمراجع الأولية:

Buhl, Fr. 1986: s.v. “AL-HA ASAN B. ZAYD,” in The Encyclopaedia of Islam², Vol. 3, 245

Gochenour, D. T. 1984: “The Penetration of Zaydi Islam into Early Medieval Yemen,” Ph.D. dissertation, Harvard University.

Levi Della Vida, G. 1997: s.v. "KHATH'AM," The Encyclopaedia of Islam², Vol. 4, 11051106-

Löfgren, O. 1986: s.v. "'ATHR," The Encyclopaedia of Islam², Vol. 1, 737738-.

Madelung, W. 1965: Der Imam al-Qasim ibn Ibrahim und die Glaubenslehre der Zaiditen, Berlin.

Madelung, W. 1979: "The Sırat al-Amırayn al-Ajallayn al-Sharıfayn al-Fadilayn al-Qasim wa- Muhammad Ibnay Ja'far Ibn al-Imam al-Qasim b. 'Alı al-'Iyanı as a Historical Source," in Studies in the History of Arabia: Sources for the History of Arabia, Pt. 2, Riyad, 6987-

Madelung, W. 1991: "The Origins of the Yemenite Hijra," in Alan Jones (ed.), Arabicus Felix: Luminosus Britannicus Essays in Honour of A. F. L. Beeston on his Eightieth Birthday, Oxford, 2544-

Madelung, W. 1995: s.v. "AL-RASSI," The Encyclopaedia of Islam², Vol. 8, 453454-

Madelung, W. 2002: s.v. "ZAYDIYYA", The Encyclopaedia of Islam², Vol. 11, 477481-

Serjeant, R. B. 1983: "San'a' the 'Protected' Hijrah," in R. B. Serjeant & R. Lewcock (ed.), San'a ': An Arabian Islamic City, London, 3943-.

Smith, G. R. 1988: "The Political History of the Islamic Yemen down to the First Turkish Invasion (1-1538-622/945)," in W. Daum (ed.), Yemen: 3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix, Innsbruck and Frankfurt-am-Main, 129139-

Watt, W. M. 1986: s.v. "HIDJRA," The Encyclopaedia of Islam2, Vol. 3, 366367-

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2022

جميع الحقوق محفوظة © 2022